
المعتصم بالله المؤمن
السعادة عكس الشّمس
الأرملة المشدوهة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

...السّعادة عكس الشّمس...

الأرملة المشدوهة

تأليف:
المعتصم بالله المؤمن

كانت الشمس توشك على المغيب بينما كانت عيناه ترقبانها بحزن.. التمعت أشعتها في عينيه وهو يودّعها.. كان منظراً جميلاً وكئيباً في آنٍ واحد.. إنّها تغيب.. تغيب وتأخذ روحه معها.. وهاهي تختبئ وراء الأفق.. وها هو يلفظ أنفاسه الأخيرة..

وردّدت السّماء صدى تلك الصّرخة.. إلى أين ستصلين أيّتها الصّرخة.؟. إلى أين؟.. وانتحب القلب وهو يرقب تقاسيم ذلك الوجه النّاعم والفارغ في آنٍ واحد.. وجهٌ ميّت.. وجهٌ كان قالباً لقلبٍ قد غادر المكان.. غادر الزّمان.. غادر، كأنّه ما كان!

لم تستطع أن تحدّق به طويلاً.. كان من الواضح أنّه فقد أهمّ شيءٍ فيه.. أنّه صار لا شيء.. ولكن أين يضيع؟.. أين يضيع حبيبي؟.. ركضت تلك الشّابّة تهرب من القدر الذي لم يحاول أن يلحقها فقد كان ممسكاً برقبتها وراكباً على ظهرها..

ولكن كان شيءٌ آخر متشبّثٌ بصدرها.. لقد كان ذاك طفلها.. طفلها وطفل ذلك الحبيب الضّائع.. الحبيب الذي خيّل إليها أنّها رأت شبحه يغادر ذلك الجسد مصطحباً تلك الشّمس التي غربت وراء الأفق..

ركضت وركضت حتّى ارتمت من التّعب وعيناها متعلّقتان بذاك الجبل.. الجبل الذي أخفى تلك الشّمس.. وهمست في أذن

الصّبيّ وهي تغسل بدموعها بسمته السّاذجة:
- لماذا أشرقت ما دمت ستغيب؟.. أجبني.. لماذا؟؟؟

لم يجب بينما أجاب الجبل بصداه:
- لماذا.. لماذا.. لماذا

ولحظات وسكت المكان إلّا من شهقاتها وبعد ساعتين عادت إلى رشدها ونهضت متثاقلة لتودّع جثمان الحبيب الملقى على العشب النّديّ.. نعم فقد كان الجوّ ربيعاً قبل أن تغرب الشّمس..

واقتربت تحثّ خطاً مترنّحةً بعثرها اليأس وسط الظّلام عندما انتفضت وسقطت من الرّعب بعد أن تعرّضت لهجومٍ أسودٍ ناعق.. والتقطت أنفاسها لتدرك أنّه غراب وهمست في أذن الصّبي الذي انفجر باكياً:
- لا.. كان مجرّد غراب.. مجرّد.....

ولم تكمل بل ركضت مذعورةٍ.. ركضت تلك الخطوات القليلة إلى جثّة زوجها.. ومن بين الدّموع الدّامية صاحت:
- لاااااا... ابتعدوا عنه!

لم يستمعوا إلى كلامها ولم يسمعوه وهم في شجارهم على الطّعام في شغلٍ عن صيحاتها المذعورة وتمادت تلك الطّيور الوقحة وضربوها وتمادوا أكثر وطردوها.. وانطلقت تمشي شريدة شاردة الذّهن مسلوبة العقل.. وبين يديها طفلٌ أعياه

إطلاق صرخات لا تدخل أذني أمّه.. عينان ساهيتان وقلبٌ مكلوم وليلٌ دهيم..

وأخذتها الخطوات بعيداً حتّى طرقت أحد القرى الهادئة، فعلا نباح الكلاب التي شدّت سلاسلها وهي تنبح باتّجاه تلك الغريبة وخرجت العجوز مذعورةً من بيتها لترى في ضوء القمر امرأةً شاحبةً تحمل طفلاً يتلوّى..

لم تفكّر العجوز قبل أن تحضر بعض الحليب وتناوله للغريبة التي نظرت إليها باستغراب.. كانت نظراتها فارغةً بصمت..
وتراجعت العجوز بينما نطقت الغريبة بضع كلماتٍ مبحوحة:
- من أين تشرق الشّمس؟
- من هناك..

وانطلقت الغريبة حاملةً طفلها الذي يصرخ مقتحمةً به بين الكلاب المربوطة التي تعوي يمنةً ويسرة.. لم تسمعها أو لم تستمع إليها وعبرت....

ومرّت السّاعات وأشرقت الشّمس وارتمى ظلّها خلفها وهي تستقبل الشّمس التي أخذت ترتقي السّماء بهدوء بينما عينان كالنّسر كانت تقدحانها ولسانها يصرخ:
- أين هو أيّتها الشّمس؟.. لم أخذته ولم تعيديه معك؟.. أين رميته؟!
وانتصبت تنتظر جواب الشّمس التي تجاهلتها بالكامل

واستمرّت الشّمس تصعد كما لو كانت بريئة ولكن المرأة المسلوبة العقل صرخت ثانيةً:
- رأيتك وأنت تأخذينه.. وهو رآك أيضاً..

وحينما لم تجب الشّمس أردفت:
- لا تتغابي!.. أنت أخذت ألكس.. أنت أخذت روحه.. هيّا أعيديها!

ولكن بدلاً من الجواب سمعت المرأة صوت ضحك.. ضحك رجل.. وتلفّتت تبحث عن الصّوت حينما رأت شابّاً متكئاً على سيّارته يضحك ساخراً فأدركت فوراً أنّه أحد أبناء المدينة وبعد لحظات كبت ضحكته وقال:
- الشّمس لا تأخذ أحداً ولا روحاً.. هاهاها..
- بلى.. رأيتها بعيني!
- الشّمس مجرد جرم سماويّ كبير وكما لا تأخذ الشّجرة روحاً فالشّمس لا تفعل أيضاً!

وعندما كانت المرأة تعلم أنّ أبناء المدينة أكثر علماً سكتت لوهلةٍ ثمّ قالت:
- إذاً أين ذهبت روح زوجي؟.. رأيتها تصعد باتّجاه الشّمس..
- لا تذهب لمكان.. لا توجد روحٌ لزوجك أصلاً.. عندما يفنى الدماغ يعدم الإنسان.. أمّا تلك فخزعبلات أجدادنا ليس إلّا!

وانفجر ضاحكاً بينما انفجرت المرأة صارخة:
- مستحيل!.. مستحيل!.. ألكس موجود.. كان يفكّر ويأمل..

يحبّ ويكره.. يفرح ويحزن.. يستحيل أن يختفي!
- وما دليلك؟
- دليلي.. دليلي...
- لا تتعبي نفسك، ليس هناك دليل.. الحياة كانت لذلك الرّجل مجرّد صدفة.. لذلك أنصحك أن تبحثي عن زوجٍ جديد!
- صدفة؟؟.. صدفة؟؟.. كيف تحدث الحياة بالصّدفة؟
- هذا ما حدث بالفعل!

سكتت المرأة لوهلةٍ تفكّر ثمّ صاحت:
- حسناً.. اشرح لي كيف حدثت تلك الصّدفة حتّى أعيدها فيعود ألكس إليّ!

فصدم الشّابّ ثمّ انفجر ضاحكاً وقائلاً:
- تعيدينها؟!!.. هذا مستحيل.. مستحيل!
- ولم؟
- لأنّ.. لأنّ.. من يستطيع أن يفعل إنفجاراً كبيراً كالذي حدث؟
- إنفجار كبير؟؟.. وهل الانفجارات تعطي الحياة؟
فضرب الشّابّ وجهه وقال:
- هذا الانفجار مختلف!
- وما هو الاختلاف؟.. ومن الذي فجّره أصلاً؟
- لم يفجّره أحدا!.. كان مجرّد تفاعلٍ كونيّ.. كما لو وضعت زيتاً وناراً مثلاً..
- ومن الذي وضع الزّيت على النّار في هذا الانفجار؟
- قلت لك لا أحد!

- كيف لا أحد؟؟.. يعني لو لم يضعهما أحد لكانا على بعضهما منذ البداية وانفجرا فوراً، فلم لم يفعلا؟.. ولكن أصلاً أين هي البداية؟.. يعني لماذا لم ينفجر من قبل؟.. ولماذا انفجر في هذا الوقت؟.. وكيف كان انفجارٌ مدمّر السّبب في حياتنا الحسّاسة؟.. و....

- كفى!!!.. تسألين أسئلةً أعجزت العلماء!!!

صرخ الشّابّ وانفجر الرّضيع مرعوباً وتبادل الاثنان النّظرات قبل أن يركب الشّابّ سيّارته ضجراً وهو يقول هازئاً:

- على أيّة حال عندما تجدين روح زوجك اتّصلي بي.. هذا رقمي!

ورمى الشّابّ ورقةً بينما انطلق بسيّارته مبتعداً وانشغلت المرأة بتهدئة ابنها محاولةً أن ترضعه لولا أنّها ما وجدت حليباً لتفعل.. فأدركت في تلك اللّحظة أنّها لم تأكل منذ أكثر من يوم وأدركت أنّها مفلسة وأنّ طفلها الغالي صار في خطر.. خطر المغيب كما غاب أبوه.. لا!

وحارت في أمرها ثمّ قررت أن تنطلق لأقرب سكن عسى أن يعطيها النّاس شيئاً تسدّ فيه رمقها ورمق ابنها فالتقطت الورقة التي رماها الشّابّ وانطلقت تحثّ الخطا ودموعها تطير إلى خلفها وهي تفكّر بما قاله ذاك الشّابّ وتصرخ في نفسها:

- يا له من رجل؛ هرب من الجواب بلا أيّ مبرّر!.. وأنا لا.. لا

أصدّق!.. ألكس موجود.. نعم.. وسأجده وسأتّصل بهذا الشّابّ ليسمع صوت ألكس بنفسه!.. أجل غاب ألكس مع الشّمس وسيشرق معها مثلما غاب.. إلى الشّرق!

وعند الظّهيرة وصلت المرأة إلى المدينة ووقفت تحاول أن تكسر كبرياءها وتتطلب المساعدة من النّاس عندما ناداها ولدٌ من خلفها:
- سيّدتي!.. وقعت هذه منك!
- هذه؟.. لا، أنا لا أحمل نقوداً..
- بلى.. رأيتها تقع من جيبك!

وناولها الورقة النّقدية وركض بينما أدركت المرأة أنّ الورقة التي رماها الشّاب لم تكن رقمه بل كانت نقوداً وحين كانت تفكّر بتصرّفه عاد طفلها إلى البكاء فأسرعت إلى أحد المحالّ التّجاريّة وطلبت خبزاً ووضعت قطعةً في فم الصّبيّ وهي تقول:
- عفواً.. هل تعرف إلى أين تذهب أرواح الموتى؟
فتبادل البائع نظرات الاستغراب مع الشّابّ الذي يعمل عنده ثمّ قال:
- إلى العالم الآخر طبعاً!
- العالم الآخر؟.. أين يقع؟
وحين بدت الدّهشة على وجهه قالت:
- أرجوك دلّني على مكانه يجب أن أصل في أسرع وقت!

فتدخّل الشّابّ هازئاً وهو يقول:
- أنا أستطيع أن أدلّك عليه.. اذهبي إلى منتصف الشّارع وقفي أمام أوّل سيّارة وستذهبين إليه فوراً!
وابتسم ساخراً بينما ابتسمت شاكرةً وغادرت مسرعةً فتبادل البائع والشّابّ نظرةً قبل أن يركض الشّابّ خلفها وهو يصيح:
- انتظري يا سيّدتي.. كنت أمزح.. كنت أمزح!

ولحقها إلى منتصف الشّارع وقال لها:
- أرجوك.. لا تقفي في منتصف الشّارع.. كنت أمزح معك.. ليس من هنا الطّريق!

وبعد أن ذهبا إلى طرف الشّارع تنفّس الشّابّ الصّعداء ومرّ صاحب السّيّارة التي كادت تصدمهما وهو يزمجر بينما قالت المرأة:
- ومن أين الطّريق إلى العالم الآخر إذاً؟
- آآ.. في الواقع.. أنا لا أعرف بالضّبط.. لكن.. اسألي الرّاهب في تلك الكنيسة فهو عنده علمٌ في أمورٍ كهذه.. اسأليه!
- حسناً.. أشكرك!

وبالفعل بعد أن تناولت المرأة بعض الخبز والماء واستطاعت أن ترضع صغيرها عادت إلى غايتها ودخلت الكنيسة تتفحّصها بعينيها إذ كانت المرّة الأولى التي تدخلها وما هي إلّا دقائق حتّى التقت أحد الرّهبان الذي قال لها:
- هل من حاجةٍ يا سيّدتي؟

- نعم.. قيل لي أنّك تعرف مكان العالم الآخر.. فهلّا دللتني عليه؟.. يجب أن ألتقي بزوجي..

فتوسّعت عينا الراهب وقال:
- وهل زوجك ميّت؟
- نعم.. ذهبت روحه مع الشّمس وهي تغرب.. رأيت ذلك في عينيه..
- ....
- إذاً هل ستدلّني؟
- في الواقع.. لا يمكن الذّهاب إلى هناك.. ولكن يمكنك أن تستحضري روح زوجك إذا أردتّ..
- ماذا؟؟.. ماذا قلت؟.. لم أفهم!
- يعني.. إذا ذكرته كثيراً يمكن أن.. يمكن أن تحسّي به.. وخاصّةً عند قبره!
- للأسف، لا قبر له.. أكلته الحيوانات..

وكفكفت المرأة دموعها بينما قال الرّاهب:
- لا مشكلة.. اجلسي هنا في هدوء واطلبي من الرّبّ أن يجعلك تحسّين به..
- الرّب؟.. صحيح، الرّبّ يعرف كلّ شيء وهذا يعني أنّه يعرف مكانه.. حسناً سأحاول.. أشكرك!

وجلست المرأة تهدهد طفلها وتحاول استحضار زوجها فأخذتها الدّموع وأخذت بالنّحيب وحاولت أن تطلب من الرّبّ أن

يخبرها ولكنّها شعرت أنّها لا تعرف كيف فذهبت إلى الرّاهب وقالت بصوتٍ بحّه البكاء:

- حاولت ولكنّ هذا لم يزدني إلّا بكاءً.. وحاولت أن أطلب من الرّبّ ولكنّي لم أعرف كيف.. ولم أعرف أيّ كلمات يجب أن أستعملها ثمّ أيّ لغةٍ يتكلّم بها.. وهل ينظر إليّ.. أم هو مشغولٌ الآن؟.. آسفة لإزعاجك ولكنّي أظنّ أنّك تحسن ذلك كلّه بالتّأكيد فلذا هل من الممكن أن تسأله عوضاً عنّي وتنقل إليّ الجواب؟

نظرت المرأة إليه ببراءة بينما ابتلع الرّاهب ريقه ثمّ قال:

- يمكن أن أسأله ولكن من الأفضل طبعاً أن تسأليه أنت فهو يفضّل ذلك.. ولا تقلقي من ناحية التّعلم.. فالرّاهبة هناك يمكن أن تعلّمك الطّريقة بالتّفصيل وحينها....

- وهل يستغرق هذا وقتاً؟

- يعني.. تقريباً..

- لا.. أنا مستعجلة.. يجب أن أذهب إلى الشّرق قبل أن يبتعد ألكس..

- الشّرق؟؟

- أجل.. إذا كان قد غرب مع الشّمس فهو يشرق معها بالطّبع ولذا فأنا مسرعةٌ إلى هناك.. ولكنّني سأنتظر جواب الرّبّ؛ فهو إن كان يعلم كلّ شيءٍ فعلاً فهو يعلم أنّني الآن أريد أن أسأله وبالتّالي سيجيبني حتّى لو لم أتكلّم بلغته.. وأمّا إذا لم يكن يعلم بسؤالي الآن فهو إذاً لا يعلم كلّ شيء ولا يعلم أين ألكس..

وصمتت المرأة تنتظر أن يتنهي الرّاهب من تأتأته ثمّ أردفت:

- أنا واثقةٌ أنّه سيجيبني.. لذا لا تحمّل نفسك همّي كما أنّي أشكرك.. وعن إذنك الآن!

وهرولت المرأة خارجةً بينما نظر الرّاهب إلى صليب الكنيسة ومسح جبينه قائلاً:
- إلهي!.. دائماً تعجزنا بقدرتك.. امرأةٌ لا تعرفك قالت عنك ما لا أعرفه!

وركضت المرأة إلى الشّرق قاطعةً حدود المدينة عند غروب الشّمس وخاضت في البريّة والظّلام يهبط وما هي إلّا ساعة حتّى خيّم اللّيل وتلألأت ثريّا السّماء البرّاقة ووقفت المرأة برهةً تراقب السّماء قبل أن تعتريها رجفة الخوف عندما سمعت عواءً من بعيد..

وأطلقت ساقيها للرّيح وركضت.. ليس باتّجاه المدينة.. بل باتّجاه الشّرق!.. ولم يطل الوقت قبل أن يعتريها الإرهاق وهي في ليلتها الثّالثة التي لم تنم فيها وجلست تحت إحدى الأشجار تغفى على صوت صراصير الغناء وتصحو على صوت العواء والطّفل بين الاثنين بين حليبٍ وبكاء!

وأخيراً سقطت الأمّ من شدّة الإرهاق لا ينبّهها شيء والطّفل يصيح بسذاجة وكأنّما ينادي لأعداءه.. وبالفعل استجاب له أحد الذّئاب!

واقترب الأخير مشمشماً ومتحسّساً ووقف مسنداً يديه على الأمّ المخدّرة يشتمّ الطّفل وأخيراً رفع رأسه وعوى عالياً ينادي بقيّة العائلة وعندها حرّكت الأمّ جفنيها ودخل الذّئب إلى أحلامها وعادت تركض في أحلامها هاربةً بابنها من الذّئاب وهي لا تدرك أنّ الذئب فوق رأسيهما وبالأحرى الذّئاب!

وعوت الذّئبة القادمة فعوى الذّئب الأوّل وحينها فقط تنبّهت المرأة وانتفضت متثاقلةً تفرك عينيها ولا تصدّق ما تراه بهما وأخيراً توسّعت عيناها الحمراوين وضمّت يداها الطفلَ بكلّ قوّتها وانحدرت دموعها وهي تصيح بصوتها المبحوح:
- ابتعدوا.. ابتعدوا عنه.. ابتعدوا!

ولكنّ الذّئب لم يفهم كلماتها على ما يبدو بل سال لعابه وهو يفكّر بمذاقها.. واصفرّ وجهها وابيضّ ورفعت ناظريها إلى ثريّا السّماء تخترقها ببصيرتها وباحت بقلبٍ جريح:
- أيّها الربّ..

وأطرقت تبتلع دمعتها بينما تبادلت الذّئاب النّظرات عندما سمعت صوتاً مزمجراً يقترب من بعيدٍ واخترق الجوّ صوت رصاصٍ متطاير من مسدّس راكب درّاجةٍ ناريّةٍ اخترق الذّئاب ووقف أمام المرأة يرشّ رصاصاته يمنةً ويسرةً حتّى استسلمت الذئاب أخيراً وغادرت تجرّ أذيال الخيبة وقد خسرت فريستها في اللّحظة الأخيرة!

وما إن هدأ المكان حتّى خلع الرّاكب خوذته وقال:
- على الرّغم من أنّي أسمع صوت الذّئاب كلّ يوم إلّا أنّي اليوم بالذّات شعرت بأنّ عليّ أن ألحقها منذ بداية اللّيل..

وحين لم تجب المرأة المدهوشة قال الشّابّ ذو الشّعر الأحمر:
- على أيّة حال.. من تكونين وماذا جاء بك إلى هنا؟
وبعد برهةٍ من الزّمان تلعثمت المرأة قائلةً:
- أ.. أنا.. أنا...

وهطلت دموعها بدل كلماتها فقال لها:
- حسناً.. فهمت؛ لا بدّ أنّك خائفة.. اشربي بعض الماء..
وناولها ماءً فشربته ووقفت قائلةً:
- أشكرك للمساعدة ولكن هل تعلم بأنّ الرّبّ هو من ناداك إلى هنا؟
- الرّبّ؟؟
- نعم.. إنّه يعلم كلّ شيء ولذا علم أنّي سأقع في مشكلةٍ منذ بداية اللّيل أنّي سأناديه ولذا حضّر الأمور ليجيبني!

فحكّ الشّابّ شعره الأحمر وقال:
- هل أنت ملاكٌ يا سيّدتي؟
- ماذا؟
- لا شيء.. هل من خدمةٍ أخرى؟
- أرجوك دلّني على العالم الآخر..
- ماذا؟؟

- نعم.. يجب أن أصل في أقرب وقت!
هزّ الشّابّ رأسه وقال باسماً:
- لتوّك أضعت الطّريق!
- عفواً.. ماذا قلت؟
- لا شيء.. ولكنّك تطلبين طلباً مستحيلاً.. لا أحد يعرف مكانه!
- ومن يدلّ الموتى عليه إذاً؟!

كبت الشّابّ ضحكته وكبتها ثمّ انفجر ضاحكاً في النّهاية وهو يقول:
- عندما أموت سأخبرك!
حزنت المرأة وقالت:
- لا تقلق.. الرّبّ سيخبرني ولكنّي متعبةٌ جدّاً الآن وأظنّني سأضطرّ أن أرتاح قليلاً..
- جيّد.. تعالي إلى بيتنا.. عمّتي ستتسلّى بوجودك!
- تتسلّى؟!.. ولكنّي سأكون نائمة!
فضحك الرّجل وقال:
- حسناً.. هيّا بنا!

وما هي إلّا دقائق قبل أن يصلا إلى البيت وبالكاد ألقت المرأة التّحيّة قبل أن تنهار فوق أقرب فراشٍ دلّوها عليها وتغطّ في نومٍ عميقٍ..

ولم تشعر المرأة قبل أن تفتح عينيها في الصّباح ونهضت تدلك عينيها ثمّ قفزت إلى النّافذة وصاحت:

- يا إلهي!.. أشرقت الشّمس وأنا نائمة!
ثمّ صاحت:
- ابني.. أين ابني؟؟

وأخذت تجول المكان بعينيها الحمراوين عندما فتح الباب ودخلت عجوزٌ الغرفة قائلةً:
- هدّئي من روعك يا ابنتي.. إنّه نائمٌ في الغرفة المجاورة..
- نائم؟.. ومنذ متّى أخذته؟.. كان معي حتّى آخر لحظة!
- صحيح.. ولكنّه بكى كثيراً في اللّيل ولم تحسّي به فأخذته وأطعمته وهدهته حتّى نام..
- يا إلهي.. ليس هذا من عادتي، يبدو أنّي مرهقةٌ جدّاً كي لا أشعر حتّى الصّباح.. كان الأمر وكأنّما أغمضت عينيّ وفتحتهما على الفور وكأنّ وقتاً لم يمضِ!
- بل أكثر من ذلك؛ الآن هو العصر!
- العصر؟!.. يا إلهي!

وسقطت المرأة على الفراش من هول المفاجأة بينما ابتسمت العجوز وقالت:
- على أيّة حالٍ أهلاً بك عندنا.. تعالي وشاركينا الطّعام!

وتبعت المرأة العجوز إلى الغرفة حيث بدؤوا جميعاً بتناول الطّعام وقال الشّابّ:
- رغم أنّك مستعجلةٌ إلّا أنّك ستقضين عندنا ليلةً أخرى فالوقت قد تأخّر ولا يمكن أن تبدأي رحلتك الآن..

- ولكن..
فقالت العجوز:
- مستعجلة؟!.. يا للأسف!.. ولكن إلى أين تتّجهين؟
- إلى الشّرق حيث أبحث عن العالم الآخر..
- ماذا؟.. وأين ستجدين هذا؟!
- لا أعلم.. ولكن أشعر أنّ عليّ المضيّ إلى هناك فألكس ينتظرني!
- ألكس؟
- نعم.. إنّه زوجي الحبيب وقد انتقل مؤخّراً إلى هناك ويجب أن ألحق به قريباً جدّاً!

فسقطت الملعقة من يد العجوز مصدرّة دويّاً على الصّحن وهي تصيح:
- يا إلهي!.. لا تقولي هذا الكلام يا ابنتي.. يجب أن تحبّي الحياة فهي جميلة وتستحقّ التّضحية.. صدّقيني يا ابنتي.. صدّقيني!

وبينما نظرت المرأة نظراتٍ مستغربةٍ أردفت العجوز:
- رغم أنّي أصبحت عجوزاً إلّا أنّي أخاف من الموت وأرقب الشّابّات وأتمنّى لو أعود مثلهنّ.. أمّا أن تكوني شابةً وتتمنّي الموت فهذا فظيع.. فظيع!
- لم تحسني فهمي يا سيّدتي.. أنا لا أتمنّى الموت، بل أنا سأذهب إلى هناك لأعيد ألكس ونعيش بسعادةٍ ثانيةً!

وبينما تبادلت العجوز مع الشّابّ النّظرات قالت المرأة:
- هل تعرفين يا سيّدتي أين العالم الآخر؟

فارتبكت العجوز ثمّ قالت :
- حسناً.. إنّه في السّماء عند الرّبّ ولذا لا أحد يستطيع الوصول إلى هناك.. لم يصل إليه حيٌّ أبداً!
- وهل الرّبّ في السّماء فعلاً؟
- نعم!
- حسناً ، هذا يسهّل الأمر!
فقال الشّابّ:
- يسهّل الأمر؟
- طبعاً.. فما دام عند الرّبّ فإنّي سأطلب من الرّبّ أن يعيده إليّ!
- لا يمكن؛ فالرّبّ لا يعيد أحداً أبداً بعد أن يموت..
- وما أدراك؟.. هل طلبت منه ذلك من قبل ولم يفعل؟!!

فتلعثم الشّابّ بينما أردفت المرأة بثقةٍ وهي تقف منفعلةً:
- لقد رأيت بنفسك كيف حماني الرّبّ قبل أن أطلب منه وكذلك فعل طيلة حياتي منذ أن ولدتّ حتّى أنّه أعطاني الحياة قبل أن أعلم أنّها موجودة.. إنّ الرّبّ يحبّني وربّما يكون قد أعاد ألكس إلى الحياة قبل أن يخطر لي ذلك حتّى!!

فابتلع الشّابّ وعمّته ريقهما ولم يجرؤا على الاعتراض ثمّ قالت العجوز بعد برهةٍ وهي تحاول شدّها إلى الكرسيّ:
- أرجوك يا ابنتي تناولي طعامك الآن من أجل هذا الصّغير وستتابعين هذا الأمر في الصّباح.. أرجوك!

فجلست المرأة وعشرات الأفكار في رأسها ولكنّ لم تنخر أيٌّ من

هذه الأفكار عزيمتها وبالفعل قبل أن تشرق شمس اليوم التّالي ودّعت أهل البيت وخرجت عندما لحقها الشّابّ قائلاً:

- على الرّغم من أنّي لا أستطيع مساعدتك في مبتغاك ولكن اقبلي منّي هذه الدّرّاجة كهديّة!

- الدّرّاجة؟؟.. هذا كثير يا سيّدي!

- لا فهي ستساعدك في عبور المناطق بسرعةٍ وهكذا لن يمسك بك ذئبٌ أو كلبٌ ثانيةً وهكذا سأساعدك ولو لم أكن معك!

فصاحت المرأة:

- لا أعرف كيف أشكرك!

- لا.. أبداً.. وهذا الوقود هنا، عندما تفرغ املئيها هكذا.. وبالمناسبة إذا احتجتي إلى المال بإمكانك أن تبيعيها..

فرحت المرأة وشكرت الشّابّ بشدّةٍ وانطلقت على متن درّاجتها الجديدة وهي تعانق ابنها بشدّةٍ بيدٍ وتمسك المقود بالأخرى وهي تحاول أن توازن سرعتها..

وخلال أقلّ من ساعة وصلت إلى المدينة التّالية ولكنّ عزيمتها لم تفتر فعبرتها تقطع بدرّاجتها القفار من مكانٍ إلى آخر حتّى وصلت مدينةً أخرى في المساء حيث اضطرّت للتوقّف وتناول طعامها الذي زوّدتها العجوز به..

وفي الصّباح تابعت مسيرتها في طرقٍ وعرةٍ ولم تظنّ أنّها قد ضلّت إذ لم يكن لديها وجهةٌ.. وكانت مسرعةً لا تفارق عيناها أفق الشّرق حين سمعت صوت رصاصةٍ خرقت الجوّ وأخرى من

خلفها وأخيراً استقرّت إحداها في إطار الدّرّاجة وبدأت الدّرّاجة تجنح إلى اليسار بقوّةٍ والمرأة تزعق وتحاول أن توقفها..

وضمّت ابنها بقوّةٍ وأغمضت عينيها وقد أدركت أنّ الدّرّاجة تنقلب إلى الأرض.. ومرّت ثوانٍ قبل أن ينتهي كلّ شيء وشعرت المرأة بيدٍ تحرّكها فانتبهت وانتفضت لترى وجهاً سمجاً ينظر إليها فزعقت وتراجعت ولكنّها أحسّت بساقين من خلفها فالتفتت لترى وجهاً سمجاً آخر ينظر إليها من الأعلى.. وحين تناهى إليها صوت ضحكٍ من كلّ مكانٍ أدركت أنّها محاطةٌ بعصابةٍ نذلةٍ من الرّجال.. فتشبّثت المرأة بطفلها وصاحت:

- ماذا تريدون منّي؟.. لم أفعل لكم شيئاً!
- ألا يكفي أنّك جاسوسةٌ حتّى تكذبي أيضاً؟!
- جاسوسة؟!.. لقد كنت في طريقي إلى العالم الآخر فقط!
- العالم الآخر؟!
- نعم.. زوجي هناك ويجب أن أعيده بأقصى سرعة..

وعلى الفور انفجر الرّجال من الضّحك لا يتمالكون أنفسهم بينما تقدّم شابٌّ سمجٌ منهم وقال:

- أحسنت بالمجيء هنا.. نحن نعرف عدّة طرقٍ إلى هناك!

فصاحت المرأة فرحةً:

- حقّاً؟.. رائع!!

فضحك الجميع وارتمى بعضهم أرضاً فنظرت المرأة إليهم حيرانةً بينما قال أحد الرّجال لقائدهم :

- ماذا سنفعل بهذه البلهاء الآن؟
- ربّما تتظاهر بالبلاهة لنتركها.. أكيد أحدهم أرسلها إلى هنا لتستطلع المكان دون أن تثير شكّاً أو لتكون طعماً.. من الأفضل أن نفجّر تلك الدّرّاجة..
- والمرأة؟
- أليست هي من تريد أن تصل إلى العالم الآخر؟.. سنلبّي لها رغبتها!

وفي تلك اللّحظة صرخت المرأة باكيةً التي كانت تقاوم سخرية الرّجال من ناحيةٍ وتحاول أن تمنع أحدهم من أخذ ابنها من ناحيةٍ أخرى:
- إنّ الرّبّ سيحميني منكم أيّها الأوغاد.. سيحميني!

وانتزع الرّجل الطّفل ورفعه عالياً وهو يقول:
- لا أراه يحميك.. بل أراه قد رمى بك مثلما سأرمي هذا الطّفل!
- لاااا!!

وأخذت باكيةً تحاول استعادة طفلها ومن حولها يضحكون وفجأةً اقترب قائدهم قائلاً:
- يكفيكم هرجاً.. ألم أطلب منكم أن تحافظوا على الهدوء وإلّا لاحظت وجودنا الشّرطة..
فسكت الجميع واستعادت المرأة طفلها وغسلت وجهه بدموعها واقترب القائد منها يبتسم قائلاً:
- اتبعيني كي أدلّك على العالم الآخر..

وبالفعل تبعت المرأة القائد بين ضحكات الرّجال المكتومة ومشيا لخمس دقائق قبل أن يصلا إلى حفرةً حيث قال:
- من هنا!
فاقتربت ونظرت قائلةً:
- عجيب!.. مع أنّهم قالوا لي أنّه في السّماااااا...

ولم تكمل جملتها لأنّها كانت قد تلقّت ركلةً أهوت بها في الحفرة وصاحت ونهضت متثاقلةً بين ضحكاتهم وفاجأها كومة ترابٍ ضربت رأسها فصاحت منتحبةً:
- ماذا تفعلون؟.. أيّها المجرمون!.. إنّ الرّبّ لن يتركني.. سوف يعاقبكم.. أيّها....
- لا تقلقي إنّك على الطّريق.. زيدوا السّرعة!

وضربها التّراب ثانيةً فدخل فمها فأخذت تسعل وتصيح والطفل يبكي ويصرخ والرّجال يتناوبون بين الضّحك ورمي التّراب وقبل أن تقدر المرأة أن تهرب كان التّراب قد اعتلاها وبدأ يملأ الحفرة..

وحاولت أن تنتزع ساقيها بلا فائدة والرّجال يسخرون:
- كدتّ تصلين!
- عندما تصلين عودي وأخبرينا فيما إذا كانت الجحيم دافئةً أم لا!
- أوصلي تحيّاتي لأبي المرحوم!

وفعلاً بعد عشر دقائق أو أكثر كان المكان قد هدأ من صرخاتها.. ونفض الرّجال أيديهم وتبادلوا نظرةً هازئةً وقال أحدهم:
- ترى هل وجدت زوجها؟
وابتسموا قبل أن يسمعوا صوتاً أثار ريبتهم..

فتحت المرأة عينيها والدّموع تسيل منهما.. لقد كان التّراب قد جعلهما حمراوين.. وأخذت تسعل بشدّةٍ وحدّةٍ وفجأةً سمعت صوت بكاء صغيرها فتلفّتت تحاول أن تبحث عنه عندما وجدت حولها رجلاً في ثيابٍ بيضاء وعلى الفور قال لها:
- هل أنت بخيرٍ يا سيّدتي؟
- لست بخيرٍ.. إح إح.. ولكنّي أسمعك على الأقل.. إح إح.. صدري ضيّق.. إح إح..
- معك حقّ.. ارتاحي أرجوك..

وقال الرّجل لآخر يرتدي بدلةً غامقة:
- لو تأخّرتم دقائق لكان ما نراه الآن مستحيلاً!
- صحيح.. يجب أن نشكر في ذلك تلك النّزعة الإنسانيّة التي استيقظت في قلب ذاك المهرّب حتّى يشي برفاقه قبل نصف ساعةٍ وإن كان قد هرب..

وهنا صاحت المرأة:
- إنّه الرّبّ!
- الرّبّ؟

- نعم.. الرّبّ هو من جعله يشفق عليّ فجأة.. إح إح.. لقد ساعدني قبل أن أسأله ذلك.. وصغيري؛ هل صغيري بخير؟.. إح..
- نعم.. لقد فعلت خيراً إذ جعلت جسدك يحافظ على حجرة هواءٍ صغيرةٍ لأجله..
- هذا أقلّ ما أستطيع.. إح إح.. لا أدرِ أكانوا بشراً أم ذئاباً؟!
- لا فرق؛ ربّما لو كانوا ذئاباً لكان أرحم.. المهمّ الآن أن تتماثلي للشّفاء.. هل لك أهلٌ نتّصل بهم؟
- لا.. زوجي قد انتقل إلى العالم الآخر وأنا في طريقي إليه..
- لا لا، أرجوك لا تقولي هذا يا سيّدتي ، سلامتك.. أتمنّى أن تشفي بسرعةٍ وتعودي لقوّتك في أقرب وقت!

ارتبكت المرأة وقد أدركت أنّ الشّرطيّ قد أساء فهمها فقالت:
- أشكرك.. ولكن هل تعلّم أين يقع العالم الآخر؟
فتبادل الشّرطيّ مع الطّبيب نظرةً قبل أن يقول الأخير:
- لا تقلق.. إنّها بحاجةٍ إلى بعض الرّاحة.. سأعتني بها!

وألقى الشّرطيّ التّحيّة وانصرف وبعد قليلٍ خرج الطّبيب وبقيت المرأة لوحدها تنظر إلى سقف الغرفة ببصرها وإلى الرّبّ ببصيرتها وتهمس:
- أيّها الرّبّ.. أما آن الأوان لتجيبني.. أين هو ألكس؟.. أرجوك خذني إليه!

وسالت دموعها وعاشت في أحلامها.. وبعد يومين كانت تشكر الطّبيب مغادرةً المشفى ومتوجّهةً طبعاً إلى الشّرق.. وعبرت

هذه المرّة الحدود من المكان المخصّص كما أوصاها الشّرطيّ.. وخلال نصف ساعةٍ وصلت إلى المدينة حيث جذب نظرها الاختلاف الواضح في عادات هؤلاء النّاس من الأتراك..

وتابعت طريقها سائرةً على قدميها وحاملةً طفلها بين يديها وأخيراً وصلت إلى سوق المدينة وضاعت بين الباعة الذين يصيحون بلغةٍ لا تفهمها وحجبت الأبنية الشّمس عنها فلم تعد تدري أين وجهتها وتوغّلت بين الشّوارع وتاهت بين الطّرقات وعمّ الظّلام المكان وبقيت المرأة لوحدها مع ابنها الباكي في ليلةٍ لم تجد فيها ضوء القمر حتّى..

وبينما بدأت ترجف من الخوف اشتعلت أضواء الشّارع البرتقاليّة ووقفت تواجه الرّيح التي أخذت تطيّر ثوبها.. لقد كانت أضواء المدينة غطّت نجوم السّماء التي طالما أنست بها حتّى في البريّة وبدت السّماء سوداء مظلمة..

وجلست على طرف الشّارع تصارع الخوف وأصوات الجرذان تصدر من هنا وهناك وفجأةً مرّت جماعةٌ من الشّبّان يغنّون ويتصايحون فشدّت المرأة يديها على رضيعها وانكمشت على نفسها علّها تفرّ من أنظارهم..

وفي حين كانت تدعو الرّبّ من أعماق قلبها كانوا هم في غير عقلهم يغنّون ويضحكون ويتراشقون بما معهم من الطّعام وأحسّت المرأة بكتلةٍ تضربها فأغمضت عينيها تتنتظر الأسوأ

ولكن خلال دقائق كانوا قد قطعوا الشّارع إلى آخر وعاد الهدوء ثانيةً..

وفتحت المرأة عينيها تستطلع المكان بوجلٍ فرأت الساندوتش الذي رمي إلى حضنها وهناك تهلّل وجهها وصاحت:
- شكراً لك أيّها الرّبّ العظيم.. لقد كنت تعلم كم أنا جائعة!

وأسرعت تلتهمها بنهمٍ وترضع صغيرها والبسمة تغزو وجهها.. وفي الصّباح عادت تحاول أن تعرف اتّجاهها من الشّمس التي مدّت خيوطها الذّهبية وأشرقت وانطلقت تمشي بعكس اتّجاه الشّمس -التي تسير أبداً إلى الغرب-؛ لقد انطلقت المرأة تسأل النّاس عن الطّريق إلى الشّرق!

أسوأ ما في الأمر أنّ الأتراك كانوا لا يتعاطفون معها فعلى الرّغم من أنّهم كانوا يبدون يفهمون سؤالها إلّا أنّهم كانوا يجيبونها بلغتهم التي لا تفهمها..ويمضون.. وتقف حائرةً.. لا تدري لسؤالها جواباً!

وأخيراً جلست تحت إحدى الأشجار تترقرق دمعتها وهي تراقب المارّة يروحون ويجيئون بالعشرات في مكانٍ واحد.. كلٌّ في همّه.. وأخذت تفكّر وتقول:
- يا ربّ.. أتعلم كلّ هؤلاء النّاس؟؟.. وتعمل بعلمك لمصالحهم قبل أن يعلموا بها؟؟

وفي تلك اللّحظة شعرت بيدٍ تلمس كتفها فأجفلت لوهلةٍ قبل أن تسمع صوتاً رقيقاً يقول:

- آها!.. أنت المرأة التي رأيتها في الحلم البارحة!

والتفتت المرأة لترى وجه شابّةٍ تبتسم وتردف:

- لقد شعرت أنّه لم يكن مجرّد حلم.. أرجوك تعالي معي!

وأمام تلك البسمة الجميلة لم تستطع المرأة إلّا أن تثق بها وتلحقها فأخيراً أحدٌ كلّمها بلغتها! .. ومن طريقٍ إلى آخر وصلتا إلى حديقةٍ جميلةٍ وقالت الشّابّة:

- أرجوك أن تتناولي الغداء معنا إذا لم يكن لديك مانع!

ودخلت الشّابّة بيتاً فاخراً ووجدت المرأة نفسها تتبعها إلى الدّاخل وفي حين كانت مبهورةً بكلّ ما حولها، رأت انعكاس صورتها على أحد المرائي الأنيقة فأدركت مدى تعاسة ثيابها فانتابها خجلٌ شديدٌ ووجدت نفسها تحاول تنفيض ثيابها وتسوية شعرها وهي تتساءل عن السّبب الذي دفع بهذه المرأة الغنيّة إلى البحث عنها وجلبها هنا..

وحين التفتت الشّابّة ورأتها قالت:

- لا تقلقي.. بإمكانك أن تستحمي وتغيّري ثيابك.. هذه غرفتك.. الغداء سيجهز بعد قليل!

لم تنبس المرأة بكلمة بل دخلت الغرفة كالمشدوهة وأعصابها ترجف وهي تردّد:

- ماذا جاء بي إلى هنا؟.. ماذا جاء بي إلى هنا؟

ولكنّها استحمّت وارتدت ثياباً جديدةً وسرّحت شعرها الأشقر الجميل وخرجت من الغرفة امرأةً أخرى وحينما رأتها المضيفة صاحت واضعةً يديها على خديها:
- يا إلهي.. إنّك تشبهين التي كانت في الحلم تماماً.. لا أصدق!
وبعد أن حدّقت بها لوهلةٍ قالت:
- كنت دائماً أظنّ أنّ لديّ قوّةً خارقة!
- قوّةً خارقة؟؟
- نعم.. لقد عرفت شيئاً من المستقبل قبل أن يحدث!
- إنّه الرّبّ يا سيّدتي!.. لقد ساعدني في رحلتي كلّها من موقفٍ لآخر وما زال يفعل.. إنّ الرّب يعلم بالمآزق التي تنتظرني قبل أن تحدث ولذا فهو يدبّر لي الحلول قبل أن أصل!

فامتعضت المضيفة وقالت:
- تعنين أنّك أنت صاحبة القوّة الخارقة؟!!
- ماذا؟!.. الرّب هو صاحب القوّة وهو ربّنا جميعاً وليس ربّي وحدي!
فتجاهلت المضيفة ذلك وقالت:
- على أيّة حال.. يجب أن تكوني منذ الآن مهذّبةً وتنتبهي إلى ألفاظك حتّى لا تجرحي أحداً.. هيّا بنا إلى الطّعام..

ومضت المضيفة إلى غرفة الطّعام بينما وقفت المرأة مع ابنها تحاول أن تفهم معنى كلمات مضيفتها التي عادت تقول:
- هيّا.. ألست جائعة؟

وجلست المرأة مشدوهةً بأنواع الطّعام وبدأت تتساءل:
- البارحة التقطتْ ساندوتشةً ملقاةً فهل وصلت اليوم إلى العالم الآخر حيث الجنّة؟!

وفي المساء اضطرّت المرأة للمبيت عند مضيفتها التّي ألحّت عليها بشكلٍ قاطع وعندما استلقت على سريرها المريح انتابها ضيقٌ شديدٌ وهي تتساءل بريبةٍ عن السّبب الذي يدفع مضيفتها لاستضافتها بهذا الشّكل المُلِحّ .. هل السّبب هو مجرّد حلمٍ كما تزعم؟؟

وفي الصّباح حاولت المرأة أن تستأذن مضيفتها بالرّحيل بلا فائدة إذ ألحّت عليها أن تحضر معها حفلاً سيقام في المنزل هذا المساء.. وفعلاً حلّ المساء وتهافتت الضّيوف إلى الحفلة
وجلست المرأة تنظر إلى الحضور ولا تدرِ بالحفل بل كانت تراقب الدّاخلين وقلبها يخفق بشدّةٍ؛ هل سيدخل زوجها إذا كان هذا فعلاً هو العالم الآخر؟؟

ومضت الدّقائق كالجمر وأخذ الضّيوف مواقعهم وانطلقت ضحكاتهم من اليمين واليسار وانطلقت دموع المرأة من العين اليمين واليسار..
- لم يدخل.. لم يدخل.. لاااا!

وفي تلك اللّحظات اقتربت المضيفة ومعها رجلٌ من المرأة

وهي تقول لها:
- عزيزتي.. هذا أخي هاكان وهو يرغب بالتّعرّف عليك..

ولم تجب المرأة بل بدت شاردةً وهامدةً.. فكرّرت المرأة جملتها فالتفتت المرأة إليها ببرود ونظرت بجمود ثمّ قالت:
- آسفة.. ولكنّي كنت أنتظر زوجي..
- زوجك؟؟.. ألم تقولي أنّه قد توفّي؟!

فانطلقت دموعها وانطلقت هي إلى الباب لا تلوي على شيءٍ ولا تسمع شيئاً.. أرادت أن تهرب من الواقع بكلّ قوّتها.. وهي تردّد:
- لا!.. لن أستبدل أحداً بألكس.. لن أستبدل بك أحداً يا عزيزي!

وخرجت من البيت لا تبصر بعينيها التي ملأتها الدّموع وركضت بخطٍّ مستقيمٍ إلى الشّارع وهناك سمعت صوت عجلاتٍ رهيبٍ وزعقت و....

عندما فتحت عينيها ثانيةً كانت تحسّ بخَدرٍ في جسمها وتدريجيّاً أحسّت بألمٍ منبعثٍ من ساقها.. كانت تنظر إلى السّقف الأبيض بنظراتٍ ساهمةٍ حين انتفضت وصاحت:
- ابني.. ابني.. أين هو ابني؟؟

وفوراً ركضت الممرّضة إليها قائلةً:
- لا تقلقي.. لا تقلقي.. لقد أسعفناه وهو بخير.. سعيدةٌ لسلامتك!
- أريني إيّاه!

وجاءت به الممرّضة فعانقته أمّه بحنانٍ وأسى وهي تطالع قسمات وجه أبيه عليه ورفعت عينيها الدّامعتين لتقول للمرّضة شيئاً عندما صاحت فجأةً:
- ألكس!.. ألكس!.. ألكس!!!

كادت المرأة تجنّ من الفرحة.. لم تعد الكلمات تقدر على الخروج من فمها ولم تعد الدّموع تقدر على التّوقّف عن الانهمار ولم يعد الكون بوسعه يسعها.. ألكس.. لقد رأت ألكس!!!

ولكن كانت المفاجأة عندما.. عندما تراجع الرّجل الذي دخل الغرفة للتوّ وهو يلوّح بيديه نافياً ويقول:
- لا بدّ أنّك مخطئة.. أنا لست ألكس ولا أعرف شخصاً بهذا الاسم!.. أنا.. أنا..
وابتلع الرّجل ريقه وقال خجلاً:
- أعتذر لأنّي صدمتك بالسّيارة!

لكنّ المرأة التي لم تكن تسمع إلّا صوت قلبها فأجابته:
- كنت أعرف أنّي سأجدك هنا.. لقد كنت واثقةً من أنّ الرّبّ سيجيبني.. تعال وانظر إلى ابننا.. ما بك؟.. ألم تشتق إليّ؟!.. أنا اشتقت إليك كثيراً!!

فأخذ الرّجل يتصبّب عرقاً ولم يدرِ ما يقول بينما حاولت الممرّضة أن تلطّف الجوّ ولكن بلا طائل.. إذ كانت المرأة لا تسمع

ولا تبصر ولا تشعر إلّا قلبها ومشاعرها..

ولمّا أدرك أنّه لا أمل في أن تسمعه هرب من الغرفة وهو يقول:
- أقسم لكم؛ لا علاقة لي بهذه المرأة ولا بهذا الطّفل!

فصاحت المرأة:
- ألكس.. أين أنت ذاهب؟.. ألكس!
وسحبت نفسها لتنهض من السّرير ولكن رجلها المقيّدة بالأربطة والأضمدة أمسكتها بقوّة وانهمرت دموعها كالشّلال بينما حاولت الممرّضة أن تهدّأ من روعها وتعيدها إلى السّرير والمرأة تصرخ وترفض:
- ألكس.. اتركيني.. سيبتعد ألكس.. ألكس!
- هذا ليس ألكس.. هدّئي من روعك يا سيّدتي.. هذا من فعل التعب على ما يبدو..
- مستحيل!.. إنّه هو!.. نفس العينين السّوداوين البرّاقتين.. ونفس الشّعر الأسود.. ألكس.. اتركيني.. اتركينيييي!

وانهارت منتحبةً من جهةٍ وطفلها يصرخ باكياً من الجهة الأخرى والممرضة بين الاثنين حيرانةٌ؛ أتبدأ بالأمّ أم بالطّفل؟!.. فجاءت ممرّضةٌ أخرى وتعاونتا لتهدئة الاثنين..

وبعد نصف ساعةٍ توقّفت المرأة عن البكاء وقالت متجهّمةً:
- إذا لم يكن هذا ألكس.. فمن هو؟
- اسمه أحمد كمال آغا.. جاء بك مسعفاً بعد أن صدمك خطأً

بسيّارته.. وكان يعتذر منك لكنّك لم تسمعيه..
- كذب.. هذا ألكس.. لقد كان في الدّنيا يسمّى ألكس!
- الدّنيا؟!.. لكن نحن في الدّنيا!
- لا.. نحن في العالم الآخر.. صدمتني السّيّارة وذهبت إلى العالم الآخر حيث وجدتّ ألكس..

ولم تستطع الممرّضة أن تكبت ضحكتها فضحكت وقالت:
- إنّك تذكرين حين صدمتك السّيّارة إذاً!.. ولكن يا سيّدتي نقلت بعدها إلى المشفى وها قد شفيت وأنت لا زلت على قيد الحياة!

فسكتت المرأة مصدومةً وحيرانةً بين أن تصدّق أو لا بينما أردفت الممرّضة:
- لا بدّ أنّ سائق السّيّارة هذا يشبه بالصّدفة ألكس هذا الذي تعرفينه!
فنفضت المرأة رأسها بشدّةٍ وصاحت:
- لا.. مستحيل!.. لا يمكن للشّبه أن يكون إلى هذا الحدّ الفظيع.. إنّه ألكس.. ثقي بزوجةٍ تعرف زوجها تمام المعرفة!
- ومع ذلك يخلق من الشّبه أربعين.. لا سبب لينكر هذا الرّجل معرفته بك بهذه الدّرجة إذا كنت زوجته فعلاً!
- ربّما فقد ذاكرته بعد أن مات.. بل أكيدا!.. هاااا.. يا إلهي؛ أخشى أن يتعرّف على امرأةٍ أخرى وهو فاقد الذّاكرة!

وحاولت المرأة أن تنهض ولكن الممرّضة منعتها قائلةً:
- لا يجب أن تنهضي.. رجلك مكسورةً يا سيّدتي!

- لا!.. يجب أن أسرع.. الخطر يكمن في كلّ لحظة.. يجب أن أسرع!
- اهدئي وثقي بالرّبّ.. ثقي بأنّه سيدبّر لك الأفضل!
- الرّبّ.. نعم.. الرّبّ هو من جاء بي إلى هنا.. أنا أثق به!
- رائع.. إذاً يجب أن تتفاءلي وتريحي جسدك المرهق الآن..
- وإلى متى؟
- حسناً.. تحتاجين لأسبوع حتّى تستطيعي الجلوس في الكرسيّ المتحرّك..
- سبعة أيّام؟؟.. لا أستطيع احتمال سبع دقائق.. قولي له أن يأتي إلى هنا!
- آآآ.. ربّما.. سأحاول.. أرجوك نامي الآن.. تصبحين على خيرا!

ولكنّ المرأة لم تستطع أن تحتمل.. كادت تتمزّق في فراشها..
- زوجي.. ألكس.. لا تغب ثانيةً..

وبعد يومين طرقت الممرّضة الباب وفتحت امرأةٌ كهلةٌ قائلةً:
- من؟
- الممرّضة آيلا.. هل السّيد أحمد كمال آغا موجود؟
- خرج قليلاً.. خيراً.. ماذا هناك؟
- حضرتك أمّه؟
- نعم..
- أرجوك.. هل لأحمد زوجة؟
- لا.. أبداً، لم يتزوّج بعد..
- ولكن.. هناك امرأةٌ بلغاريّة في المشفى تكاد تحتضر من شدّة

حبّها له وتزعم أنّه زوجها العزيز!
- مستحيل!!!

وضربت أمّ أحمد بعرض الباب وهي تصرخ:
- مستحيل.. أحمد رجلٌ شريف ولا يمكن أن يخدعني أو يرتكب ما لا يجوز.. أرجوك.. لا تزعجينا بمثل هذا!
- آسفةٌ جدّاً يا سيّدتي.. ولكنّي أشفقت على المرأة التي بالمشفى.. وعلى فكرة؛ فهي أيضاً تبدو امرأةً شريفةً وتأكّد حتّى الموت أنّه زوجها..

وقبل أن تقول الأمّ شيئاً سمعت الاثنتان صوت رجل يقول:
- أنت الممرّضة؟.. هل حدث شيءٌ لتلك المرأة؟
- الواقع يا سيّدي: إنّها لا تتحسّن فحالتها النّفسيّة سيئةٌ جدّاً .. تكاد تجنّ وتموت رغبةً في رؤيتك يا سيّدي!
- يا إلهي!

وهنا تدخّلت الأمّ قائلةُ:
- أحمد!.. من هذه التي تتكلّم عنها؟
- تلك المرأة التي صدمتها بالسّيّارة منذ يومين.. يبدو أنّي أشبه شخصاً تعرفه ولذلك هربت من وجهها..
- ظننت ذلك.. سعيدةٌ لأنّه لم يخب ظنّي بك!
فقالت الممرّضة:
- أرجوك أن تأتي وتشرح لها الأمر بنفسك، وهي بطبيعة الحال ستلاحظ الفرق بينك وبين زوجها الأصليّ وتدرك أنّ الأمر مجرّد

شبه.. وإلّا فإنّها ستموت!

زفر أحمد بينما صرخت الأمّ:
- ما الذي ترمين إليه أيّتها الممرّضة؟ ؟
- لا أرمي لشيءٍ سوى أنّي أريد إنقاذ روح تلك المسكينة وإنقاذ ابنها الرّضيع من براثن اليتم.. تعالي واطّلعي بنفسك إن لم تكوني تصدقينني!
- يا لهذه المصيبة التي سقطت على رأسينا.. يا اللّه، ماذا أفعل؟..حسناً سآتي لأرى بنفسي..

وعلى الفور ارتدت الأمّ حجابها وانطلق الثّلاثة إلى المشفى حيث دخلت الأمّ والممرّضة غرفة المريضة التي لاتكفّ عن التأوّه والزّفير ووقفت الأمّ تتطالع وجهها الأبيض الذي سيطر عليه شحوب الموت بينما قالت لها الممرّضة بعطف:
- عزيزتي ماريانا.. أرجوك أن تأكلي.. قولي لي ماذا تشتهين كي أحضره إليك؟
- لا!.. لا أستطيع أن أضع لقمةً في فمي.. لا أشتهي إلّا رؤية زوجي الحبيب ألكس.. أو أحمد كما صار اسمه الآن..
أرجوك..احضريه إلى هنا وسآكل قدر ما تريدين!

وانتحبت المرأة بينما تبادلت الممرّضة مع الأمّ الغاضبة نظرةً ثمّ صاحت الأمّ بالبلغاريّة:
- اسمعي جيّداً: إنّ أحمد ليس هو ألكس هذا الذي تريدينه.. إنّ ابني رجلٌ شريفٌ ويخاف اللّه كما أنّه لم يتزوّج أبداً!

- أنت لا تعرفين القصّة.. لقد كنّا زوجين متحابّين ورزقنا الرّبّ هذا الطّفل الرّائع.. ثمّ ما أفسد سعادتنا إلّا موت ألكس.. ولكنّي لم أيأس أبداً وسألت الرّبّ أن يدلّني على العالم الآخر لأراه ثانيةً.. وهكذا سرت عكس الشّمس حتّى أوصلني الرّبّ إليه..ولم يكن هذا سهلاً أبداً ولكنّه هيّنٌ من أجل زوجي العزيز.. وحين رأيته منذ يومين كنت أسعد امرأةٍ على ظهر الأرض!

سكتت المرأة عن سرد قصّتها المأساويّة بصوتها المأساويّ لتبتلع دموعها الزّهريّة اللّون بينما تمتمت الأمّ وقد تأثّرت:
- يا اللّه!.. إنّها تبكي دماً!
فأجابت الممرّضة بصوتٍ مختنقٍ:
- لا غرابة.. لقد مضى عليها تبكي يومين بلا انقطاع أو غذاء!..
لذلك لم أستطع إلّا أن أشفق عليها...

وغطّت الممرّضة وجهها باكيةً بينما اقترب أحمد فجأةً وحاولت أمّه أن تقول شيئاً ولكنّ دموعها منعتها وحينها صاحت ماريانا من الفرح وتحاملت على نفسها لتنهض ولكنّها لم تستطع فمدّت يدها الهزيلة المرتعشة تحاول أن تصل إلى روح أحلامها.. ولكن..

كان أحمد ينوي أن يشرح لها الحقيقة ولكن حين رآها على تلك الحال المذرية انعقد لسانه وشعر بأنّه مجرمٌ لو تلفّظ بحرفٍ ممّا يريد أن يقوله.. وسقطت يد المرأة المنهكة على الفراش خائبةً وعادت دموعها الزّهريّة للانهمار..

فانفجرت الأمّ والممرّضة باكيتين من التّأثّر بينما قال أحمد أخيراً:
- في.. في الواقع.. بعد ما متّ.. يعني.. صار علينا أن.. أن نتزوّج ثانيةً إذا أردنا البقاء مع بعض...
وعلى الفور أجابت ماريانا وقد أشرق وجهها:
- لا مشكلة..لا مشكلة.. سنتزوّج ثانيةً.. ولم لا؟!
- ولكن.. عليك أن تأكلي جيّداً.. من أجل.. من أجل هذا الطّفل الجميل!
- نعم سآكل.. وأنت لا تبتعد عنّي ثانيةً.. لا ينبغي لشيءٍ أن يفرّق بيننا!
- حسناً؛ عندما نتزوّج لن نفترق.. ولكن عليك أن تشفي كي يتحقّق ذلك.. وس...وسأكون بانتظارك!
- نعم.. سأشفى وبأقصى سرعة!.. أرجوكِ أعطيني طعاماً!

وانسحب أحمد إلى الوراء خارجاً من الغرفة وتبعته أمّه بينما أردفت ماريانا:
- سأنتظرك في الغد!
أخذت الممرّضة تمسح دموعها وماريانا تكاد تطير من الفرح وهي تردّد:
- أرجوك أيّها الممرّضة.. أنا جائعةٌ وعطشةٌ جدّاً.. أرجوك أسرعي!

فركضت الممرّضة لتحضر الطّعام بفرحٍ وقد أنقذت روح الأمّ والطّفل من الشّقاء بينما كانت ماريانا تطير من غيمةٍ لغيمةٍ في

أحلامها!

أمّا أحمد فما إن وصل مع أمّه إلى البيت حتّى صاحت أمّه منزعجةً:
- أحمد!.. ماذا فعلت؟!.. لقد وعدتّها بالزّواج!
- لم يكن باليد حيلة..
- ماذا؟؟
- أنت أيضاً بكيت يا أمّي!
- بكيت لأنّني لم أحتمل أن أرى امرأةً تبكي دماً بهذا الشّكل..
- وأنا كذلك، ولذا وجدتّ نفسي أحلّ المشكلة..
- تحلّ المشكلة أم تعقد مشاكل جديدة.. هل تريد أن تقول لي أنّك تريد الزّواج من امرأةٍ أجنبيّةٍ لا أحد يعرف أهلها ولا دينها؟.. هذا سوى أنّها متزوّجة من قبل ولديها طفلٌ سيشاركك حياتك ومالك إلى الأبد إذا ادّعيت أنّك أبوه!

- يا أمّي، من ناحية أنّها أجنبيّة فلا مشكلة لأنّني أعرف لغتها وسأعلّمها لغتنا ومن الواضح أنّها لطيفةٌ ومخلصة.. ومن ناحية ابنها فسأقول لها أن تنسبه إلى اسمي الأوّل "ألكس" كما تظنّ هي.. ومن ناحية تربيته فتربية اليتيم أمرٌ محبّذ كما أنّي بذلك سأنقذه من الكفر.. ومن ناحية الدّين فقد ردّدتْ ذكر الرّبّ وهذا يعني أنّه من الممكن إقناعها بالإسلام!
- على العكس فهذا يعني أنّها متشبّثةٌ بدينها!
- حسناً.. سترين يا أمّي أنّي سأقنعها غداً إن شاء اللّه!
- غداً؟؟

- يعني.. من بعد إذنك سنذهب سويّةً.. ما رأيك؟
- رأيي أنّك تشفق عليها ولا تشفق على نفسك.. إنّك ترمي نفسك في مستقبلٍ تعيس!

وسكت الاثنان بينما أطرق أحمد إلى الأرض وأدركت الأمّ في لحظتها أنّ كلّ شيءٍ قد خرج عن السّيطرة وأنّه ليس من الحكمة أن تقف بين مغناطيسين وأن تمشي مع قطارها خيرٌ من أن تقف في وجهه فزفرت وقالت:
- لكن إذا استطعت إقناعها بأن تسلم وتصلّي كما ينبغي فلا بأس رغم أنّي لا أدري ماذا سيحدث إذا عاد إليها رشدها وأدركت أنّك لست من تريد؟
- حينها سأقول لها أنّها هي من أصرّ على ذلك رغم أنّنا جميعاً أخبرناها بالحقيقة!
- وماذا عن ظروفك الماديّة؟.. ليس لك بيت ولا مال.. حتّى السّيّارة التي صدمتها بها ليست لك!
- إنّ الله رزقني المرأة من مكانٍ لم يخطر لي وكذلك سيرزقني المال من حيث لا أدري.. أنا واثقٌ بأنّ الله قد أجاب دعوتك التي تردّدينها لي دائماً بأن يرزقني امرأةً تحبّني أكثر ممّا تحبّ نفسها.. أليس هذا دعاءك لي؟!
فابتسمت الأمّ وقالت:
- لم يخطر لي أنّي السّبب في كلّ هذا !!!

وضحك الاثنان وفي اليوم التّالي ذهبا فعلاً إلى المشفى حيث فوجئا بأنّ المريضة التي في الفراش صارت فراشةً جميلةً وقد

أشرق وجهها وصفّفت شعرها وزيّنته وجلست تنتظر عزيزها وهي تهدهد طفلها!

وبينما كانت الغرفة تعبق برائحة الزّهور التي وزّعت فيها جلس أحمد وأمّه بجوار سرير الزّهرة الأجمل التي تورّد خدّاها وبدت بسعادتها آيةً في الجمال!

وعلى الفور أخذت تتحدّث مع أحمد على أنّه ألكس وتريه الطّفل وبالفعل تظاهر أحمد بأنّه مهتمٌّ به ثمّ قال:
- أتدرين؟.. يجب أن يبقى باسمي الأوّل بما أنّه ولد في ذلك الوقت!
- أوه، لم أنتبه لهذا!.. حسناً لا مشكلة.. المهمّ أنّه سينعم بالأبوّة!.. وعلى فكرة؛ أنت الآن أوسم منك عندما كنت ألكس!

ضحكت المرأة السّاذجة من قلبها ضحكةً سرقت بها قلب الذي أمامها ثمّ أردفت:
- لم أكن سأصل هنا لو لم يوصلني الرّبّ.. أوه، صحيح!.. أخبروني أنّ العالم الآخر عند الرّبّ.. فهل رأيت الرّبّ قبل أن تعود؟
- لم أره ولكنّه كلّمني!
- كلّمك؟!.. رائع!.. بم كلّمك؟.. أخبرني!

ورمقت الأمّ أحمد الذي أجاب دون تكلّف:
- قال شيئاً رائعاً.. قال بأنّه يحبّ أن يُعبَد لوحده.. وأنّ ما يفعله

النّاس من عبادة غيره لا يرضيه أبداً وأنّ النّاس بفعلهم لذلك فهم من حيث يظنّون أنّهم يرضونه فهم يسخطونه!.. فلو كان أيٌّ منّا سيّداً فهو لا يحبّ أن يشاركه أحدٌ على ذلك فكيف بالرّبّ العظيم الذي خلقنا جميعاً؟!

- فعلاً.. لحسن الحظّ أنّي لا أفعل ذلك يا أحمدا!.. أنا أعبد الرّبّ فقط وأدعوه وحده وأؤمن به كثيراً.. فهو يعلم كلّ شيء وهو موجودٌ معنا دائماً!

- رائع.. ولهذا فإنّه يحبّك!

- صحيح؟.. هل قال لك أنّه يحبّني؟

- أيجب أن يقول لي؟!.. هذا واضح!

- فعلاً!

وضحك الاثنان بينما قالت الأمّ:

- لم تقل لها عن الأمر الآخر..

- أوه، صحيح.. إنّ الرّبّ حين رأى النّاس قد تاهوا في ذلك الأمر فقد بعث نبيّاً آخر أعاد النّاس إلى رشدهم وهو نبيّ التّوحيد "محمّد" أو "أحمد"..

- فهمت.. لذلك سميت نفسك "أحمد".. لأنّك اتّبعت هذا النّبيّ!

- بالضّبط.. وأنا أدعوك لذلك الآن يا عزيزتي.. فأنا سعيدٌ بالصّلاة الرّائعة التي تعلمتها وأودّ أن تشاركيني إيّاها وكذلك هذا الطّفل الجميل حتّى نغدو جميعاً كما يحبّ الرّبّ.. الإله.. اللّه!

فشهقت المرأة بشدّةٍ جعلت أحمد يغصّ بريقه قلقاً من جوابها وصار يسعل فقالت له قلقةً عليه:

- سلامتك!.. هل أنت بخير؟
- نعم.. خفت عليك لأنّك شهقت هكذا!
- لا.. لا تقلق.. قبلت دعوتك.. ولكنّ كلامك جعلني أدرك أمراً مهمّاً غاب عنّي.. ظننت أن الرّبّ جاء بي إلى هنا لأنّي أطلب منه ذلك ولم ألحظ قبلاً بأنّه بحبّه كان يحضرني إلى هنا منذ البداية من أجل أن أعرف الحقيقة و.....

سكتت ماريانا مبتسمةً تنظر إلى الأعلى بعيناها الزّرقاوين الصّافيتين وهمست بسعادةٍ حشرجت صوتها:
- لغتك رائعةٌ يا ربّ.. وأشكرك -يا إلهي- لأنّك أمتّ ألكس!!!

... تمّت بفضل الله العظيم ...

